

خمرة العشق في شعر ابن الفارض وجلال الدين الرومي

أ.د. حسن حميد الفياض

أ.م.د. سمية حسن عليان

الباحثة نرجس عبد الخالق محمد

كلية التربية الأساسية/ جامعة الكوفة

المقدمة:

يعد النبيذ والشراب من جملة الألفاظ الرمزية الذي أخذت مكانها في شعر ابن الفارض وجلال الدين الرومي فمعاني الخمر وتعاييرها المرتبطة بشرب الخمرة والسكر والساقى يذهب بذهن الشعراء إلى المعشوق الحقيقي والعشق والمحبة الأزلية حيث يصورون من خلالها أجمل الصور الشعرية. وتتناول البحث أمور عدة وهي: الخمرة في شعر ابن الفارض وجلال الدين الرومي، والمضامين الخمرية المشتركة في شعر ابن الفارض وجلال الدين الرومي.

أولاً: الخمرة في شعر ابن الفارض:

لقد كان رمزُ الخمرة عند الصوفية رمزاً غنياً صادقاً، فالصوفيةُ عبروا عن شوقهم إلى معرفة الله وحبهم له بعبارات توهم القارئ بأن هذه القصائد الصوفية هي قصائد خمرية شأنها شأن قصائد شعر الخمر^(١). وابنُ الفارض ممن أكثر من نعت الخمر الصوفي، مريداً بذلك الذات الإلهية، لأنه نشأ نشأةً دينيةً ، ورُبِّيَ تربيةً صوفيةً ، فسلك طريق قومه في شعره ، ينظم إشاراتهم ويصف مقاماتهم ، و الخمرة في ديوانه يرمز بها رمزاً صوفياً لا يفسر إلا باطنياً^(٢)، ويُعدّ موجد الطريقة الرمزية في الشعر العربي ، وعُدَّ أكثر الشعراء تعهداً للكلام وتكلفاً للبديع ومولعاً بالجناس والطباق، وكان شعره يرضي معاصريه لرقته فالمتصوفون ينشدونه في مجالس الذكر والعشاق والخلاء يغنونه في مجالس الخمر^(٣).

فرمزية الخمرة في شعر ابن الفارض تدل على المحبة الإلهية بوصفها أزلية، نزهت عن العلل وجردت عن حدود الزمان والمكان، و تجلت الحقائق وأشرقت الأكوان بواسطة هذه المحبة في الأسرار العرفانية ، فالأرواح المجردة انتشت بشربها الخمرة الأزلية وأخذها السكر قبل أن يخلق العالم ^(٤)، وهذا ما نجده في شعر ابن الفارض، يقول ^(٥): [من الطويل]

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً	سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَرْمُ
لَهَا الْبَدْرُ كَأْسٌ وَهِيَ شَمْسٌ يَدِيرُهَا	هَلَالٌ وَكَمْ يَبْدُو إِذَا مُزِجَتْ نَجْمُ
وَلَوْلَا شَذَاهَا مَا اهْتَدَيْتُ لِحَانِهَا	وَلَوْلَا سَنَاهَا مَا تَصَوَّرَهَا الْوَهْمُ
وَلَمْ يُبْقِ مِنْهَا الدَّهْرُ غَيْرَ حُشَاشَةٍ	كَأَنَّ خَفَاهَا فِي صُدُورِ النَّهْيِ كَنْثُ
فَإِنْ ذُكِرَتْ فِي الْحَيِّ أَصْبَحَ أَهْلُهُ	نَشَاوَى وَلَا عَارٌ عَلَيْهِمْ وَلَا إِثْمُ
وَمِنْ بَيْنِ أَحْشَاءِ الدَّنَانِ تَصَاعَدَتْ	وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا اسْمُ

فخمرية ابن الفارض تعد نموذجاً لاكتمال الرموز الخمرية في الشعر الصوفي ، وقد أشار نابلسي إلى أن خمرية ابن الفارض مبنية على اصطلاح الصوفية ، فهم يذكرون الخمرة في عباراتهم بأسمائها وأوصافها ويريدون بها ما أدار الله على ألبابهم من المعرفة أو الشوق ^(٦).

فالخمرة تعد رمزاً للعشق الإلهي ، والنابلسي أخذ يحيل المفردات المتعلقة بها كالكرم والبدر والهلال والشمس والنجم والشذا والدنان ، إلى إشارات ورموز تلوح خلف الألفاظ التي يتخذها العرفاء والمحبون الإلهيون من علوم وأسرار ، فالبدر هو الكأس لهذه المدامة ويعد رمزاً للإنسان الكامل ومظهراً للمقام الأعلى ، وهناك تحولات رمزية لهذه المدامة ، فهي كالشمس المشرقة ، ويعد الهلال والنجم من التحولات الرمزية للبدر ، فمرة تعد هلالاً إذا ما احتجب بظهور نفسه عن إظهار بقية النور ، أما في حين آخر هو نفسه النجم الذي إذا نظر إليه غيره أهتدى به ، وتحدث ابن الفارض عن شذا المدامة ، و وصف الضوء

الشفاف والسنا الرائق الذي ينبعث منها، مستعيراً ذلك كله من أساليب الشعراء الخمريين، إلا أنه أشرب هذه النعوت ما حفلت به الرموز العرفانية من أذواق وأسرار^(٧)، ((فشذا المدامة ... عبارة عن الرائحة الطيبة والحنان بيت الخمر والسنى بالقصر النور وبالمذ الارتفاع والذي في البيت مقصور فرائحتها سبب للدلالة على موضعها ونورها سبب لتصورها في الوهم ... فهي شمس فهي مسك فهي طيب فطبيها يورث الهداية ... ويعني بشذاها عالم الروح الأعظم الذي هو من أمر الله تعالى وقوله حانها يكنى بالحنان عن حضرات الذات العلية وهي أنواع أسمائها وصفاتها السنية ... و النشاوى جمع نشوان ...فيه إشارة إلى أن ذكر الخمرة ليلاً يوجب النشوة ... وقوله اصبح هنا ذهاب ظلة ليل الغفلة واشراق أنوار التجليات الإلهية على قلب الذاكر وقوله أهله ...يعني المتأهلين بالاستعداد لقبول أنوار الفيض الرباني والمدد الرحماني وقوله نشاوى المعنى حصول السكر لهم بما يتجلى عليهم وينكشف لديهم فيغيبون به عن أوهام الاغيار في التحقق بمعاني الأسرار))^(٨) . فما اشتملت عليه ميمية ابن الفارض من رموز و تلويحات يدل على أن الشاعر لم ينظم شعره على وفق ما ينظم شعراء الخمرة شعرهم في وصف الخمرة المادية التي تستخرج من عصير الكرم، فالمستغرق في ميمية ابن الفارض ومتأملها يلاحظ أن الشاعر قد رمز بالمدامة للمحبة الإلهية التي هي أساس الخلق ومصدر الوجود ، والخمرة التي وصفها ابن الفارض ليست إلا رمزاً أو كناية عن العشق الإلهي^(٩) . وقد عرفت ميمية ابن الفارض باسم الخمرية أيضاً، ويرى الدكتور مصطفى الحلبي بأن شراحها هم واضعوا هذا الاسم ، وهذا ما استنتجوه من خلال استخلاص موضوعها وهو وصف الخمرة الذي كنى ابن الفارض بها عن المحبة الإلهية والمعرفة الربانية^(١٠) .

فابن الفارض شاعر الحب الإلهي الذي سكر بخمرة الحب، وتحدث عن هذه الخمرة فقال^(١١): [البحر الطويل]

يَقُولُونَ لِي صِفْهَا فَأَنْتَ بِوَصْفِهَا خَبِيرٌ أَجَلٌ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمٌ
صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَوَا وَ نَوْرٌ وَ لَا نَارٌ وَرَوْحٌ وَلَا جِسْمٌ

فالخمرة عنده لم تكن خمرة حسية بل كانت خمرة روحية ، و بسبب حبه الإلهي الكبير لقب بسلطان العاشقين ، فهو عاشق تحدث عن حب أسقمه وأسكره وعدّبه ، وكل معاناته كانت ثمرة للإيمان القوي والتدين العميق ، فحب الله عنده هو الحياة ^(١٢)، فيقول ^(١٣):

إِنَّ الْغَرَامَ هُوَ الْحَيَاةُ فَمُتْ بِهِ صَبّاً فَحَقَّكَ أَنْ تَمُوتَ وَتُعَذَّرَا

وفي حالة سكره تتكشف له ذات المحبوب وتتجلى له في كل مظهر ، ويشير ابن الفارض إلى هذا التجلي بقوله ^(١٤) : [البحر الطويل]

جَلَّتْ فِي تَجَلِّيْهَا الْوُجُودَ لِنَاطِرِي فَفِي كُلِّ مَرِيٍّ أَرَاهَا بُرُوءِيَّةَ
وَأَشْهَدْتُ غَيْبِي إِذْ بَدَتْ فَوَجَدْتَنِي هُنَالِكَ إِيَّاهَا بِجَلْوَةِ خُلُوتِي

ويصل الشاعر إلى حالة الصحو بعد أن أفاق من سكره ، وبلغ مبلغاً من الجلاء حتى أصبح يشاهد محبوبته مشاهدة عينية ، كما بلغ من الكمال بحيث تساوت لديه النظر إلى الذات الإلهية وإلى تجلياتها ، ويعد هذا عند الصوفية أسمى مراتب الكمال من المحبين والعارفين ^(١٥) ، فهو يقول ^(١٦) : [البحر الطويل]

فَلَمَّا جَلَوْتُ الْغَيْنَ عَنِّي اجْتَلَيْتُنِي مُفِيقًا وَمَنِّي الْعَيْنُ بِالْعَيْنِ قَرَّتْ
وَمَنْ فَاقَتِي سُكْرًا غَنَيْتُ إِفَاقَةَ لَدَى فَرَقِي الثَّانِي فَجَمَعِي كَوَحْدَتِي

أشعار ابن الفارض اشتهرت في وسط الصوفية العشاق ^(١٧)، فهو من جملة الشعراء الذي عبر في خمريته وتطرق إلى بيان المضامين العرفانية ، فهو أصل الذوق ، الذوق الذي ينزل تجلياته من مقام الروح والقلب إلى مقام النفس ^(١٨).

وابن الفارض في خمريته استغرق في العشق، وعبر فيها عن نوع من المكاشفة الذي لها جملة من التعابير ذات المعاني القيّمة، وفي كل حال من الأحوال للكشف والشهود من القداسة والهيمنة مترسخة ، والصوفية ذكرت معاني متعددة لهذه الكلمات .

والحُبُّ الحسي عند ابن الفارض كان الجسر للوصول إلى الحب الروحي ، فابن الفارض استعمل المعاني الحسية ورمز بها للمعاني الروحية ، وهذا ما أشار إليه زكي مبارك ((وهذا الرمز التي تفرضه سيرة ابن الفارض وقد ذاق الكأس وعرف الحب الحسي والحب الروحي ، ويكاد يكون من اليقين عندنا إن حبه الأول هو السر في وقده حبه الثاني ، لأننا نعرف الله أول ما عرف عن طريق المحسوسات ، وكل جمال في عالم الحس هو إغراء بالجمال المكنون في عالم الروح ، والمحسوسات نفسها لا توحى الشعر إلا حين تستعد النفس لفهم ما فيها من الدلالات الوجدانية))^(١٩) .

وابن الفارض ممن اشتهر بوصف الخمرة ولشعره معاني دقيقة وفكرة عميقة ، وقد توهم الذين أخذوا شعره بظاهر ألفاظه من أنه تغنى بالخمرة المادية التي تعتصرها يد البشر، وحقيقة الأمر أنه تغنى بالخمرة الإلهية التي لم تعتصرها وتلمسها يد البشر وهي ليست بالخمرة الحسية التي تسكر الشخص وتذهب العقل ، وإنما سكر العشاق الصوفية من وقد حبه ولذة وصاله والقرب من الله^(٢٠) .

فطريق الحب عند الصوفية هي مجاهدة امتزج فيها لحظة السكر بانفعال الحب أو تمنّ أو تجل ، وتسبق السكر مرحلة الغيبة ، وإذا كوشف للعبد نعوت الجمال يحصل له السكر ، وتطرح روحه وتهيم القلب^(٢١) . فالخمرة عنده ترمز إلى حالتي الحضور والغيبة، ففي الحالة الأولى يحس بأنه في حضرة الحق يتنعم بعباياه وكراماته ،أما في الحالة الثانية حالة الغيبة فيشتد به الوجد فيغيب عن ذاته حتى يفنى في محبوبه .

وأشار ابن الفارض إلى نشوة العشق في شعره ، فهو يقول^(٢٢): [البحر الطويل]

سَقَّتَنِي حُمَيَا الْحُبِّ رَاحَةً مُقْلَتِي	وَكَأْسِي مُحَيَا مَنْ عَنِ الْحُسْنِ جَلَّتْ
فَأَوْهَمْتُ صَحْبِي أَنَّ شُرْبَ شَرَابِهِمْ	بِهِ سُرٌّ سِرِّي فِي انْتِشَائِي بِنَظَرِهِ
وَبِالْحَقِّ اسْتَعْنَيْتُ عَنْ قَدَحِي وَمِنْ	شَمَائِلِهَا لَا مِنْ شَمُولِي نَشَوْتِي

فَفِي حَانَ سُكْرِي حَانَ سُكْرِي لِفَتْنَةٍ بِهِمْ تَمَّ لِي كَتَمَ الْهَوَى مَعَ شَهْرَتِي
وَلَمَّا انْقَضَى صَحْوِي تَقَاضَيْتُ وَصَلَهَا وَلَمْ يَغْشَنِي فِي بَسْطِهَا قَبْضُ حَشْيَةٍ
(...) هَبِي قَبْلَ يُفْنِي الْحُبُّ مِنِّي بَقِيَّةً أَرَاكَ بِهَا لِي نَظَرَةً الْمُتَلَفَّتِ

ففي الأبيات السابقة صور الشاعر نشوة الحب الإلهي ، من خلال متعلقات الخمرة من دنان وسقاة وكؤوس ، ووصف جمال الذات العلية التي تعلق قلب العاشق بها ، وكأنما شرب من كأس قدسي رحيقه المسكر حتى انتشى وأصبح منجذباً كأنه في غيبوبة كاد أن يغيب عن حواسه ، وأضاف ابن الفارض في وصفه ألفاظ الخمرة من قدح ، وشراب ، فشارب خمرة المحبة الإلهية تمنع عينه في الجمال الإلهي ، وسرت الخمرة في عروقه حتى صارت روحه المحبوبة كأسه الذي يشرب منها ، فأفناه هذه الكأس وأهلكه ، وعندما مكن منه السكر وذهب صحوه أخبر عما أصابه من أثر العشق والهيام.

ثانياً: الخمرة في شعر جلال الدين الرومي:

الخميرية في تصوف هي كمال المحبة ، فعبادة الله تكون على صيغة عشق ومحبة ، والصوفية اعتقدوا أن كمال الدين يكون في كمال المحبة ، فرابطة الخالق صاحب الكمال والجلال والجمال المطلق متعلق مع المخلوق، و يرونها حلقة وصل بين العاشق والمعشوق ، ويصدقون أنه لا يوجد أي مخلوق إلا وفيه نار عشق الخالق (٢٣).

وجلال الدين الرومي غلبت عليه مشاعر الحب اتجاه الذات العلية ، وعنده الحب هو ذلك اللهب الذي حين يتأجج يحرق كل ما في الوجود ، ولا يبقى سوى الله (٢٤).

والخمرة من أهم الألفاظ والمصطلحات التي استعملها الشعراء الصوفية في أشعارهم ، فهم لبيان عواطفهم واحساساتهم الذاتية وبيان العشق والمحبة الإلهية استعملوا الفاظاً وكلمات على صورة كناية ورمز ووضحوا مرادهم من خلال الشراب والخمر والسكر والنبذ التي وردت في الأشعار غير العرفانية ، وهذا يبين قصد

جلال الدين الرومي إذ عبر بالتعابير المتعددة عن الخمرة والمعاني المجازية ، وهي نفسها التجليات والرموز الإلهية ^(٢٥).

والرومي كان في حالة من السكر عند نظم أشعاره لذلك لم يلزم نفسه بترتيب الألفاظ ، والوزن والقافية ، والمحسنات سواء اللفظية والمعنوية ، وكل هذا كان بالنسبة إليه أمر ثانوي ، وإنما غايته كانت الوصول لحب حضرة الحق وكذلك التأثير الروحاني العميق على نفوس قارئ شعره ^(٢٦). ويقول جلال الدين الرومي في الخمرة الإلهية ^(٢٧):

اي ساقى جان بر كن آن ساغر پيشين را آن راه زن دل را آن راه بُر دين را
زان مى كه ز دل خيزد باروح در آميزد مخمور كند جوشش مر جشم خدا بين را
آن باده انگورى مر امت عيسى را وين باده منصورى مر اُمت ياسين را
خم هاست از آن باده خم هاست از اين تا نشكنى آن خم را هرگز نچشى اين را
آن باده بجز يك دم دل را نكند بى غم هرگز نكشد غم را هرگز نكند كين را
يك قطره از اين ساغر كار تو كند چون زَر جانم به فدا باشد اين ساغر زرين را

الترجمة:

((يا ساقى الروح أملاً الكأس السابقة، قاطعة طريق القلب ومرشدة الدين من تلك الخمر التي تنبع من القلب وتمتزج بالروح ، ويسكر جيشانها العين التي تشاهد الله. إن تلك الخمرة العنابية لملة عيسى، وهذا الخمر المنصورية لملة ياسين دنان من هذه الخمر ودنان من تلك الخمر، ومالم تكسر تلك الدن لن تتذوق أبدا هذه الدن. إن تلك الخمرة لا تجعل القلب خالياً من الغم سوى لحظة ،فهي لا تذهب الغم أبداً ولا الحقد . وذرة من هذه الخمرة تجعل أملك كالذهب، فلتكن روجي فداء لتلك الكأس الذهبية)) ^(٢٨) .

وهو يعتقد أن المسكر الوحيد يكون من الخمرة الإلهية ، يقول ^(٢٩) :

باده ی او درخور هر هوش نیست حلقه ی او سُخره ی هر گوش نیست

الترجمة : ((وليست خمرة جديرة بكل وعي ، وحلقته ليست مبذولة لكل أذن)) (٣٠) .

والرومي استعمل الشراب والنبیذ بالتعابير المتعددة والمعاني المجازية لبيان عشقه الإلهي ، فتارة يبين حبه من خلال ذكر أسماء الشراب ، وينعت النبيذ مرة بالماء فيقول (٣١) :

بده آن آب ز كوزه كه نه عشقی ست دو روزه چو نمازست و چو روزه غم تو واجب و ملزم

الترجمة : أعطي ذلك الماء الذي في الجرة إذ لا يوجد عشق ليومين ، ما هي الصلاة و ما هو الصوم مادام حزنك واجباً ولازماً .

فهنأ سمى النبيذ بالماء التي بالدلو وعدھا قرينة العشق، وتارة نعت النبيذ بالرحيق فقال فيها (٣٢):

درده ز رحيق خویش يك جام يا از رز خویش يك كفى بنگ

الترجمة : أعطني من شرابك الخاص قدحاً واحداً ، أو من تلك الزهرة كفاً واحداً من البنج . وأحياناً يستعمل "ساغر" مجازاً بمعنى النبيذ أو قدح الشراب، فيقول الرومي (٣٣):

از ساغر او گيجست سرم از ديدن او جانست تتم

الترجمة : من خمرته (الساغر) أصيب رأسي بالدوار ، ومن رؤيته جسدي كالروح وحيناً يستعمل الشيره ويقصد بها الشراب المصنوع من العنب ، ولها أنواع متعددة تبعاً لمراحل نضجها وكيفية حصولها ، فيقول (٣٤):

از شيره او من شیر دلم در عربده اش شیرین سخنم

الترجمة : من خمرته صار قلبي شجاعاً ، وفي عربدته أصبح كلامي جميلاً. وكذلك يقول فيها (٣٥):

تو بدان شیشه پرستی كه ز شیشه ست شرابت می من نیست ز شیره ز چه رو شیشه پرستم

الترجمة : اعلم أنك تعبد الزجاج ، لأن في الزجاج شرابك ، ليست خمري من الشهد وعصارة العنب لذلك لماذا لا أعبد الزجاج ؟
كما استعمل جلال الدين (الساقى) لبيان حالات وجده وشوقه لله ، فنراه استعمل كلمة زلف مجازياً تعني الساقى ، يقول^(٣٦) :

چو زلف انداز من ساقى در آيد به دستى زلف ودستى جام گيرم

الترجمة : كلما نزل عليّ من شعر الذي على كتفه وهو يقوم بالسقاية ، سأمسك في يدي الشعر وفي الأخرى الكأس .

وأيضاً استعمل "سرده" بمعنى السقاة الذين لا يعطون سرهم وهم الذين لا يشاركون أسرارهم، فيقول الرومي^(٣٧):

سر دهانند كه تا سر ندهى سرّ ندهند ساقيانند كه انگور نمى افشارند

الترجمة : هم الذين عندهم الأسرار ولكن لا يعطونك سرّاً إلا إذا بذلت نفسك في تلك الطريقة وهم السقاة الذين لا يعصرون العنب ولا يحصلون على ماء العنب .

كما قد عبر جلال الدين عن حبه الأزلي ومعرفة الحق من خلال الرموز المادية للخمرة المتمثلة بألوانها وكمياتها وغيرها ، فيقول في الشراب الأصفر^(٣٨):

هلا ساقى بيا ساغر مرا ده زرم بستان مى چون زر مرا ده

الترجمة : أهلا يا ساقى تعال اسقني من الشراب الصافي ، وخذ من الدنانير الذي تشبه الذهب في لونها واعطني الخمر الذهبي اللون فهنا الشاعر قد شبه الشراب بالذهب ، وهو الشراب الذي يملك اللون الأصفر .

وكذلك شبه الخمر بالعقيق لأن كليهما ذو اللون الأحمر، فيقول^(٣٩) :

باده بنوش ، مات شو ، جمله تن حیات شو باده چون عقیق بین ، یاد عقیق کان مکن
الترجمة : أشرب الخمر أذهل وإنس كل شيء وأحيي كل الجسد ، وأنظر الخمر التي تشبه العقيق ، فلا
تذكر العقيق بعد .

وغيرها الكثير من الألوان الذي قد تطرق إليها الشاعر .
وذكر أيضاً في شعره كمية الشراب ، قال (٤٠):

چه می پرسم تو خود چون خوش نباشی که در مجلس تو داری جام بر جام

الترجمة : ماذا أسألك عندما لا تكون بخير ، مع أنك عندك قدح بعد قدح في المجلس .
وهنا يقصد الشاعر الشرب المتواصل بدون أي انقطاع قدح بعد قدح، ويريد بها الذي يسكر من العشق
يصبح هائماً يكثر الشرب من بحر المحبة الإلهية بشكل متواصل لا ينقطع عنها أبداً .
وذكر الشاعر رائحة النبيذ في شعره ، يقول (٤١):

بپیما آن شرابی را که بویش به از مشکست و از عنبر مرا ده

سقاہم ربہم رطلی شگرفت نہان از مؤمن و کافر مرا ده

الترجمة : اسقني ذلك النبيذ الذي رائحته أحسن من رائحة المسك والعنبر . سقاہم ربہم شراباً رائعاً، وما
أعظمه وأروعہ، أعطني نلم خفية و سراً من المؤمن والكافر .

فهنا أقتبس الشاعر من قوله تعالى ﴿وسقاہم ربہم شراباً طهوراً﴾ (٤٢)، والشراب الرباني هو الشراب الطاهر
، وأشار في البيت الثاني إلى معرفة الحق تعالى .

وعنده العاشق يصل لنشوة سكره عند وصول رائحة النبيذ له ، حيث أن رائحته هو دلالة على وجود النبيذ
، فالعاشق يرجع حياً لوجود هذه الرائحة ويصبح سكراناً من جديد .

فرائحة النبيذ التي كالمسك والعنبر تجلب نار اشتياق الساعي ، ويغرق نار ظلام السالك والمريد في نقاء التوحيد وكافور برد اليقين^(٤٣) .

وفي بعض أبيات من أشعاره نجد إشارة إلى نار النبيذ والاحتراق به ، فيقول الرومي^(٤٤):

سجده کردم پیش او و درکشیدم جام را آتشی افکند در من می ز آتشدان خویش

الترجمة : سجدت له وشربت الكأس ، وذلك الشراب القى بناره وأشعل النار بي من شدة جمره .
عدّ الشاعر النار والحريق واحدة من صفات الخمرة ، فالنار وحرارتها يحرق جسم وروح وكل وجود العاشق ، فبشعلة واحدة منها يحترق العاشق أو قد يضيء بنورها .

وأشار جلال الدين الرومي إلى الجمال الإلهي في شعره من خلال ألفاظ السكر والساقى ، يقول^(٤٥) :

بلبلی میگفت دیشب بر سر گلزار مست آنجان کز نغمه اش گشته در و دیوار مست

کای بخواب غفلت وبندار محبوس آمده چند باشی از شراب غفلت وبندار ومست

خیز درستان طوافی کن ز روی اعتبار تا به بینی باغ و راغ از قدرت جبار مست

زین ندا رفتم بسوی باغ تا طوافی کنم مرغها دیدم ز هر سوپر سر اشجار مست

در سماع مطربان عشق کردم استماع مطرب از عشرت خراب ولحن موسیقار مست

یک نظر کردم بدان ساقی که آن می می دهد یار از آن می بیقرار وگشته هم اغیار مست

باز در باغ وجود خویشتن کردم نظر روح دیدم مست نور وجسم از آثار مست

الترجمة:

((كان بلبل يغرد في الليلة الماضية فوق روض الورد سكران بحيث صار الباب والحائط من نغمه سكران

قائلاً: يا من حبس في نوم الغفلة والخيلاء، حتام تبقى بشارب الغفلة والخيلاء سكران، انهض وطف بالبستان من قبيل الاعتبار، لتري الصحراء سكرى من قدرة الجهار والبستان سكران! وبهذا النداء ذهبت صوب البستان لأطوف، فرأيت الطير في كل جانب على رؤوس الأشجار سكران! واستمعت في مجلس سماع مطربى العشق، فكان المطرب سكران من الطرب، ولحن الموسيقى سكران! ونظرت نظرة إلى ذلك الساقى الذي يقدم الخمر، فكان الحبيب مضطرباً من تلك الخمر، وصار الغير أيضاً سكران! ثم نظرت في بستان وجودي، فرأيت الروح سكرى النور، والجسد من الآثار سكران!))^(٤٦) في الأبيات السابقة أشار الرومي إلى تجلي الجمال الإلهي، فسكر في مشاهدته جميع ما في الوجود من الكائنات، لا فرق بين إنسان ونبات وجماد وطيور^(٤٧).

ثالثاً: المضامين الخمرية المشتركة في شعر ابن الفارض وجلال الدين الرومي:

١) قدم خمرة العشق وأزليته :

يقول ابن الفارض ^(٤٨): [من الطويل]

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَرْمُ

يقول جلال الدين الرومي^(٤٩) :

جرعه یی چون ریخت ساقی الست بر سر این شوره خاک زیر دست

جوش کرد آن خاک وما زان جوششیم جرعه یی دیگر، که بس بی کوششیم

الترجمة: ((وعندما صب الساقى يوم العهد جرعة على هذا الحمأ المسنون الدني؛ جاش ذلك التراب وجشنا من ذلك الغليان، فجرعة أخرى . يا إلهي . فقد قل منا الجهد))^(٥٠).

أشار كلا الشاعرين إلى قدم خمرة العشق إذ وجدت الخمرة وسكر بها قبل أن يخلق العنب، وما زالت موجودة ومستمرة إلى الأزل فالحب الإلهي يفيض في قلوب المحبين قبل أن يخلقوا وتستمر بالتدفق فهو

نبيع لا ينقطع حتى بعد فناء الإنسان .

(٢) الخمرة المانحة للحياة :

ففي نظر ابن الفارض العشق يحيي الميت أما الحي الحقيقي فهو حي بالعشق .

يقول ابن الفارض ^(٥١): [من الطويل]

وَلَوْ نَضَحُوا مِنْهَا نَرَى قَبْرَ مَيِّتٍ لَعَادَتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ وَانْتَعَشَ الْجِسْمُ

يقول جلال الدين الرومي ^(٥٢):

از آن شراب که گر جرعه ای ازو بچکد ز خاک شوره بروید همان زمان گلزار

الترجمة : تلك الخمرة التي إذا قطرت قطرة منها، لأنبتت فوراً في التراب تلك الصحراء روضة ورد .

في كلا البيتين ذكرت الخمرة الإلهية التي هي سبب في وجود وديمومة الحياة في كل الأزمان وليبان شدة سحرها وقوتها عدو أن قربها تحيي الأموات .

(٣) خمرة الشفاء :

يقول ابن الفارض ^(٥٣): [من الطويل]

وَلَوْ قَرَّبُوا مِنْ حَائِهَا مُقْعَدًا مَشَى وَتَنَطَّقُ مِنْ يَكْرِى مَذَاقَتِهَا الْبُكْمُ

يقول جلال الدين الرومي ^(٥٤):

زآن می که آن می چو نوشیده شود آب نطق از گنگ جوشیده شود

الترجمة: ((من تلك الخمر التي عندما تحتسي ، يفور ماء النطق حتى من الأخرس)) ^(٥٥).

عدّ ابن الفارض والرومي الخمرة الإلهية إناء من الدواء يشفي كل من ذاق منها جرعة .

(٤) بدون نبیذ العشق العمر ضائع :

يقول ابن الفارض ^(٥٦): [من الطويل]

عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْبِكَ مَن ضَاعَ عُمْرُهُ وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا نَصِيبٌ وَلَا سَهْمٌ

ويقول جلال الدين الرومي يقول (٥٧):

پیر ایشانند که این عالم نبود جان ایشان بود در دریای جود

پیش از این تن عمرها بگذاشتند پیش تر از کِشت بَر بر داشتند

الترجمة: ((والشيخ أقصد به من لم يكن من هذا العالم، فلقد كانت أرواحهم في بحر الجود. ومن قبل أن يخلقوا أجساداً ، عاشوا أعماراً ، ومن قبل أن يزرعوا جنوا الثمار!!)) (٥٨).

أشار كلا الشاعرين إلى ضياع العمر بدون خمرة العشق ، فالذي لم يشرب من كأس المحبة الإلهية ويسكر بمشاهدة جماله وجمال صنائعه عمره ضائع .

٦) شرب خمرة العشق ليس ذنباً :

ابن الفارض (٥٩): [من الطويل]

وَقَالُوا شَرِبْتُ الْإِثْمَ كَلًّا وَإِنَّمَا شَرِبْتُ الَّتِي فِي تَرْكِهَا عِنْدِي الْإِثْمُ

جلال الدين الرومي يقول (٦٠):

شراب حق حلال اندر حلالست می خُنِبِ خدا نبود محرم

الترجمة: نبيذ الحق حلال في حلال، فالخمرة الإلهية لم تكن محرمة. خمرة العشق ليس ذنباً يَأْثم عليه شاربها ، فالذي لم يشرب من خمرة العشق الإلهي هو الآثم الحقيقي .

٧) السكر بخمرة العشق :

ابن الفارض (٦١): [من الطويل]

هَنِيئاً لِأَهْلِ الدَّيْرِ كَمْ سَكِرُوا بِهَا وَمَا شَرَبُوا مِنْهَا وَلَكِنَّهُمْ هَمُّوا

جلال الدين الرومي يقول (٦٢):

بگذر از مستی و مستی بخش باش ز این تلّون نقل کن در استواش
چند نازی تو بدین مستی، بس است بر سر هر کوی چندان مست هست

الترجمة ((واعتبر مرحلة السكر، وكن واهبا للسكر، وانتقل من هذا التلون إلى الاستواء معه!! فحتام تفخر بهذا السكر كفاك، إن على باب كل حي كثيراً من السكرى)) (٦٣).

تطرق كل من الشاعرين إلى السكر بخمرة العشق، فالعاشق السكران ينقطع عن كل الموجودات ويكتفي بمشاهدة محبوبه والاستمتاع بجماله الأزلي، فالسكر الصوفي نشوة فاضت بها نفس الصوفي إذ امتلأت بحب الذات العلية حتى بدت قريبة منه كل القرب .

٨) خمرة العشق عين عناية الحق :

يقول ابن الفارض (٦٤): [من الطويل]

وَفِي سَكْرَةٍ مِنْهَا وَلَوْ عُمَرُ سَاعَةً تَرَى الدَّهْرَ عَبْدًا طَائِعًا وَلَكَ الحُكْمُ

جلال الدين الرومي يقول (٦٥):

داده ی تو چون چنین دارد مرا باده که بود که او طرب آرد مرا

باده در جوشش گدای جوش ما چرخ در گردش گدای هوش ما

الترجمة: ((ومادامت عطيتك تجعلني على هذا الحال، فماذا تكون الخمر حتى تشعرني بالطرب؟ فالخمر في جيشانها لتتسول منها الجيشان، والفلک في دورانه أسير لألبابنا)) (٦٦).

أشار الشاعران إلى المحب الذي يسكر من الشراب الإلهي يفيض عليه الحق تعالى من رحمته ويكون محط عنايته .

٩) خمرة العشق ليس فقط في هذا العالم بل باقي حتى يوم المحشر :

يقول ابن الفارض (٦٧): [من الطويل]

وَعَنْدِي مِنْهَا نَشْوَةٌ قَبْلَ نَشَاتِي مَعِيَ أَبْدًا تَبَقَى وَإِنْ بَلِيَ الْعَظْمُ

يقول جلال الدين الرومي^(٦٨) :

مست حق هشیار چون شد از دَبور مست حق نايد به خود از نفخ صور

الترجمة: ((وكيف يصير ثمل الحق مفيقاً من ريح الدبور؟ إنه ثمل الحق لا يفيق ولو بنفخ الصور))^(٦٩).
في الأبيات السابقة أشار الشاعران إلى ديمومة الشراب الإلهي، فهو موجود قبل الخلق ومعهم ولا ينتهي بموتهم بل تظل موجودة إلى يوم المحشر.

ونلاحظ وجود الساقى في أشعار الرومي والساقى عنده هو الحق تعالى والنبذ هو الشراب العرفاني الذي يعرف بالحقائق الروحانية التي يغرسها الله تعالى في قلب شاربيه وروحهم ، ومن هذا الصدد توجه جلال الدين إلى الساقى وعدّ إطاعته واجبة^(٧٠)، يقول^(٧١):

ساقى فرخ رخ من جام چو گلنار بده بهر من ار مى ندهى بهر دل يار بده

ساقى دلدار توى جاره بیمار توى شربت شادي وشفا زود به بیمار بده

الترجمة: يا ساقى المضيء الوجه أعطني كأساً كزهرة الرمان، حتى إذا لم تعطني الشراب من أجلي، فاسقني من أجل قلب الحبيب. أنت الساقى الحبيب ، و أنت دواء المريض ، أعط شراب السعادة والشفاء أعطها بسرعة للمريض .

وكذلك أنشد الرومي في الساقى الذي يدير بالشراب على طالبها ، يقول^(٧٢):

الا ساقى به جان تو به اقبال جوان تو به ما ده از بنانِ تو شراب ارغوانى را

الترجمة : يا ساقى أقسم بروحك و إقبال شبابك ، أن تسقني بيدك من ذلك الشراب الأرجواني .
أما في شعر ابن الفارض فلم نجد كلمة (الساقى) بعينها بل وجدت مفردات (أسقها وسقى) .

أنشد كلا من ابن الفارض وجلال الدين الرومي كثيراً من الأشعار ذات المضامين العرفانية فكلاهما يقولان بأزلية العشق الإلهي ويستغرقان فيه ، فهما أنشدا أشعارهما وكانا في حالة من السكر، وبينما المضامين الصوفية من خلال لغة الرمز ، فجلال الدين الرومي تكلم عن العشق من خلال التجربة الروحانية بوجود المشاهد الجميلة ورموز جمال الحق ، ومقصد الرومي وابن الفارض من شراب العشق هو مشاهدة جمال المعشوق الأزلي ، أما الاختلاف القائم بينهم كان في طرق توظيف كل شاعر للرموز الصوفية في شعره وكيفية التعبير عنها وتوجيهها إلى ذات العلا.

الخاتمة:

استعمل الشاعران رمزية الخمرة وأنواعها و أوانيها و سقاة الخمرة ، ووظفوها في شعرهم معبرين بها عن عشقهم الإلهي وما تسببه هذا العشق بهم من ذهول وانقطاع عن جميع الخلق ليسكروا بمشاهدة حضرة الحق ، فتشابه الشاعران في استعمالهم لهذه الرموز واختلفا في طريقة التوظيف والتعبير بها وتوجيهها إلى الحقيقة العلية الحضرة الإلهية .

الهوامش:

- (١) ظ / المعجم الرمزي الصوفي عند ابن الفارض : ٩٣
- (٢) ظ / جمالية الرمز في الشعر الصوفي : ٩٠ ، ٩١
- (٣) ظ / المعجم الرمزي الصوفي عند ابن الفارض : ٩٤
- (٤) ظ / الرمز الشعري عند الصوفية : ٣٦٦
- (٥) ديوان ابن الفارض : ٨١
- (٦) ظ / شرح ديوان ابن الفارض : ٢ / ١٤٤
- (٧) ظ / المصدر نفسه : ٢ / ١٤٥
- (٨) المصدر نفسه : ٢ / ١٤٦ ، ١٤٧
- (٩) ظ / ابن الفارض والحب الإلهي : ٩٣ ، ٩٤

- (١٠) ظ / المصدر نفسه : ١٠١
- (١١) ديوان ابن الفارض : ٨٢
- (١٢) ظ / جمالية الرمز في الشعر الصوفي : ٩٢
- (١٣) ديوان ابن الفارض : ١٠٠
- (١٤) المصدر نفسه : ٣٧
- (١٥) ظ / الحب الإلهي في التصوف الإسلامي : ١٢٢
- (١٦) ديوان ابن الفارض : ٣٨
- (١٧) ظ / تاريخ أدبيات عرب : ١٩٧
- (١٨) ظ / شرح اصطلاحات تصوف : ١٩٠
- (١٩) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق : ٢٧٩
- (٢٠) ظ / اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي : ١٤٨
- (٢١) ظ / جمالية الرمز في الشعر الصوفي : ٧٠
- (٢٢) ديوان ابن الفارض : ٢٧
- (٢٣) ظ / عشق صوفيانه : ١٣٤
- (٢٤) ظ / جمالية الرمز في الشعر الصوفي : ١٠٥
- (٢٥) ظ / جلوه های می در غزلیات شمس : ١
- (٢٦) ظ / العرفان الصوفي عند جلال الدين الرومي : ١٣٨
- (٢٧) كليات شمس تبريزي : ٤٥
- (٢٨) لمحات من الغزل الصوفي الفارسي : ١٥١
- (٢٩) مثنوى معنوى : ٥ / ٦٣٧
- (٣٠) مثنوي مولانا جلال الدين الرومي : ٥ / ٢١٦
- (٣١) كليات شمس تبريزي : ٥٣٠
- (٣٢) المصدر نفسه : ٤٤٢

- (٣٣) المصدر نفسه: ٥٧٤
(٣٤) المصدر نفسه : ٥٧٤
(٣٥) المصدر نفسه : ٥٢٧
(٣٦) كليات شمس تبریزی : ٥٠٠
(٣٧) المصدر نفسه: ٢٦٢
(٣٨) المصدر نفسه: ٧٦٨
(٣٩) كليات شمس تبریزی : ٦٠٠
(٤٠) المصدر نفسه : ٥٠٨
(٤١) المصدر نفسه : ٧٦٨
(٤٢) الإنسان : ٢١
(٤٣) ظ / تصوف وادبيات تصوف: ٧٦
(٤٤) كليات شمس تبریزی : ٤١٧
(٤٥) (كليات شمس تبریزی : ٧١
(٤٦) لمحات من الغزل الصوفي في الشعر الفارسي : ١٥٣ ، ١٥٤
(٤٧) ظ / المصدر نفسه : ١٥٣
(٤٨) ديوان ابن الفارض : ٨١
(٤٩) مثنوى معنوى : ٥ / ٥٨٧
(٥٠) مثنوي مولانا جلال الدين الرومي : ٥ / ٧٩
(٥١) ديوان ابن الفارض : ٨١
(٥٢) كليات شمس تبریزی : ٣٨١
(٥٣) ديوان ابن الفارض : ٨١
(٥٤) مثنوى معنوى : ٦ / ٨٠٤
(٥٥) مثنوي مولانا جلال الدين الرومي : ٦ / ٢٣٤

- (٥٦) ديوان ابن الفارض : ٨٣
(٥٧) مثنوى معنوى : ٢ / ١٧٦
(٥٨) مثنوي مولانا جلال الدين الرومي : ٢ / ٣٨ ، ٣٩
(٥٩) ديوان ابن الفارض : ٨٢
(٦٠) كليات شمس تبریزی : ٤٩٦
(٦١) ديوان ابن الفارض : ٨٢
(٦٢) مثنوى معنوى : ٦ / ٧٤٠
(٦٣) مثنوي مولانا جلال الدين الرومي : ٦ / ٨٢
(٦٤) ديوان ابن الفارض : ٨٣
(٦٥) مثنوى معنوى : ١ / ٩٦
(٦٦) مثنوي مولانا جلال الدين الرومي : ١ / ١٨١ ، ١٨٢
(٦٧) ديوان ابن الفارض : ٨٢
(٦٨) مثنوى معنوى : ٣ / ٣١١
(٦٩) مثنوي مولانا جلال الدين الرومي : ٣ / ٧٩
(٧٠) ظ / باز تاب چهره ساقی در کلیات شمس مولانا : ٢
(٧١) كليات شمس تبریزی : ٧٥٣
(٧٢) المصدر نفسه : ٣٨

المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

المصادر العربية :

الكتب :

١. ابن الفارض والحب الإلهي : الدكتور محمد مصطفى حلمي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٢ ، (د.ت) .
٢. اتجاهات الأدب الصوفي بين الحلاج وابن عربي: الدكتور علي الخطيب : دار المعارف، القاهرة ، (د.ط) ، ١٤٠٤ هـ

٣. التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق : زكي مبارك ، مطبعة الاعتماد . مصر ، ط ١ ، ١٣٥٧ هـ . ١٩٣٨ م .
٤. الحبّ الإلهي في التصوف الإسلامي : الدكتور محمد مصطفى حلمي ، الناشر : دار القلم ، (د . ط) ، ١٩٦٠ .
٥. ديوان ابن الفارض : صححه وضبطه وعلق عليه وقدم له الدكتور إبراهيم السامرائي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان . الأردن ، (د . ط) ، ١٩٨٥ .
٦. الرمز الشعري عند الصوفية : الدكتور عاطف جودة نصر ، الطباعة والنشر والتوزيع دار الأندلس و دار الكندي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٨ .
٧. شرح ديوان ابن الفارض : من شرحي الشيخ بدر الدين محسن بن محمد البوريني المتوفى سنة ١٠٢٤ هـ و الشيخ عبدالغني إسماعيل النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣ هـ ، (د . ط) (د . ت) .
٨. العرفان الصوفي عند جلال الدين الرومي : فرح ناز رفعت جو ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت . لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م .
٩. لمحات من الغزل الصوفي في الشعر الفارسي : ترجمة إسعاد عبد الهادي قنديل ، تقديم بديع جمعة ، طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ط ١ ، ٢٠٠٧ .
١٠. مثنوي مولانا جلال الدين الرومي : ترجمه وشرحه وقدم له ، د. ابراهيم الدسوقي شتا ، المشروع القومي للترجمة ، (د . ط) ، ١٤١٦ هـ . ١٩٩٦ م .
- الرسائل الجامعية :
١١. جمالية الرّمز في الشعر الصّوفي (محي الدين بن عربي نموذجاً) : هدي فاطمة الزهراء ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، جزائر ، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م .
١٢. المعجم الرمزي الصوفي عند ابن الفارض : أشرف أحمد هاشم ، رسالة ماجستير ، جامعة النيلين . كلية الآداب ، السودان ، ٢٠١٣ .
- الكتب والمصادر الفارسية :
- الكتب :

١. تاريخ ادبيات عرب : عبد الجليل ، ترجمه آذرتاش آذرنوش ، انتشارات امير كبير ، تهران ، چاپ اول ، ١٣٦٣ .
٢. تصوف وادبيات تصوف : برتلس ، ترجمه ايزدي ، تهران . امير كبير ، ١٣٨٢ .

۳. شرح اصطلاحات تصوف : سيد صادق گوهرين ، انتشارات زوار ، چاپ دوم ، ۱۳۷۶ .
 ۴. عشق صوفيانه : جلال ستاری ، تهران نشر مرکزی ، چاپ اول ، ۱۳۷۴ش .
 ۵. کلیات شمس تبریزی : جلال الدين محمد بن محمد مولوی ، براساس تصحيح بدیع الزمان فراوانفر ، بنگاه ترجمه ونشر کتاب پارسه ، چاپ ششم ، ۱۳۹۸ .
 ۶. مثنوی معنوی : جلال الدين محمد بلخي ، براساس نسخه‌ی رينولد نيگلسون ، انتشارات سپهرادب ، تهران ، چاپ پنجم ، ۱۳۹۷ .
- المقالات :
۱. باز تاب چهره ساقی در کلیات شمس مولانا : فرید حائز ، مجموعه مقاله های دهمین همایش بین المللی ترویج زبان وادب فارسی ، دانشگاه محقق اردبیلی ، ۱۳۹۴ .
 ۲. جلوه های می در غزلیات شمس : دکتر احمد رضا نظری چروده ، زبان وادبیات فارسی ، دانشگاه آزاد اسلامی واحد آستارا .